كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف، ألقاها في لقاءٍ مع شركاء مركز الدروس الجامعيّة للبنان الشماليّ CEULN، يوم السبت الواقع فيه ٢٥ نيسان (أبريل) ٢٠١٥، في تمام الساعة الثانية عشرة والنصف.

١. مرّة أخرى، وبتأثّر نابع من مشاعر التقارب والصداقة، أجد نفسي أمامكم ومعكم، أيّها الشركاء والأصدقاء الأعزّاء في جامعة القدّيس يوسف وفي مركزها، مركز الدروس الجامعيّة للبنان الشماليّ. في مستهلّ كلمتي، أودّ أن أحيّي ثقتكم، أنتم شركاء المركز وأصدقاءه وممثّلي البلديّات والجمعيّات ورؤساء ومدراء الشركات والمصارف والمؤسّسات وبالطبع مدراء ومديرات المؤسّسات التربويّة. أتوجّه إليكم بالشكر، أعزّاءنا ممثّلي العالم الإجتماعيّ والإقتصاديّ والمهنيّ من أجل أن تستمرّ هذه السلطات في تبنّي خياركم في توظيف خرّيجي المركز وجامعة القدّيس يوسف آخذةً بالاعتبار جودة تنشئتهم والتمكّن من كفاياتهم في مجالات خيارهم. نشكركم أيضًا، أعزّاءنا، ممثّلي عالم المؤسّسات التربويّة، من أجل جودة العلاقة التي تصرّون على الإبقاء عليها مع المركز، عن طريق تشجيع مبادرات التوجّه نحو العالم الجامعيّ ونحو جامعة القدّيس يوسف وكذلك في مجال الدورات الرياضيّة بحيث تقومون بتشجيع فرقكم للمشاركة بأعداد كبيرة في الدورة السنويّة للمركز. وكيف لنا أخيرًا ألا نحيّي الإلتزام الصارم والدبلوماسيّ في أنٍ معًا الذي تتمتّع به مديرة المركز، السيّدة فاديا علاّم جميّل التي تصرّ على إقامة علاقة شراكة معكم عن طريق التقارب والكفاءة. إنطلاقًا من هذا الأمر، أنا متأكّد وواثق أنّ مركز جامعة القدّيس يوسف هذا سيواصل تاريخه الديناميكيّ في خدمة العلم والتنشئة على التميّز، هذا التاريخ الذي يُعتَبَر، أسوةً بتواريخ مراكز صيدا ولبنان الجنوبيّ وزحلة والبقاع، جزءًا لا يتجزّأ من تاريخ أكبر وأعمق هو تاريخ جامعة القدّيس يوسف التي تأسّست في العام ١٨٧٥ وتحتفل في أيّامنا بذكرى مرور ١٤٠ سنة على تأسيسها ووجودها.

٢. أيّها الأصدقاء الأعزّاء، إنّه لأمر رائع أن تحتفل المؤسّسات العريقة بهذه التواريخ الرمزيّة لتتذكّر أصولها وعناصر الموهبة التأسيسيّة كما ارتآها وصمّمها الآباء المؤسّسون. بالإضافة إلى جامعة القدّيس يوسف نفسها، تحتفل كليّة العلوم الطبيّة بمرور ٩٥ عامًا على وجودها، والصيدلة بمرور ١٢٥ سنة على تأسيسها ومركز العلاج الفيزيائيّ بمرور ٢٠ سنة على تأسيسه، ونحن نحتفل بهذه التواريخ في جامعة القدّيس يوسف لا لنُثني عليها بل لننظر إلى المستقبل ونرى كيف نعطي إلى جامعة القدّيس يوسف الوسائل من أجل أن تواصل رسالتها في الظروف نفسها ومتطلّبات التميّز نفسها الموجودة سابقًا، وكيف نبني دومًا مستقبل الجامعة، جامعة يسوعيّة في الشرق الأوسط، وما تستطيع أن تقدّمه هذه الجامعة في مجالات التعليم والبحث وخدمة المجتمع اللبنانيّ. في الفيلم الذي قمتم بعرضه للتوّ

والذي يتطرّق إلى الأعوام ال١٤٠، تُعطى الكلمة إلى التاريخ بحيث يستطيع أن يسرد لنا أمثولاته وتوجّهاته المقبلة. في الواقع، في إطار مؤتمر يتعلّق برسالة جامعة القدّيس يوسف المقبلة وأُقيم في جامعة القدّيس يوسف يومَي ٢٢ و٢٣ كانون الثاني (يناير) من هذا العام، طُرِحَت بعض المسائل والإشكاليّات كعلاقة الجامعة ب"جمعيّة رفاق يسوع" وبالفرنكوفونيّة وباللّغة الفرنسيّة وبالتعدديّة والعيش المشترك اللّبنانيّ والتميّز الأكاديميّ وتهيئة الخرّيجين في جامعتنا على مواجهة تحدّيات المهن التي سيتعاطونها واستقبال الجميع، بمن فيهم من لا يملكون الوسائل الماليّة، للدراسة في جامعة القدّيس يوسف. في الحقيقة، كان الجدل المثير يدير الجلسات بطريقة جيّدة بحضور جزء هامّ من الطلاب القدامى إلاّ أنّني سأتوقّف عند ثلاث قناعات تثير اهتمامنا جميعًا : ١) جامعة القدّيس يوسف هي جامعة بحجم الوطن اللبنانيّ، إنّها في خدمة الجميع ومن أجل جميع الشباب اللبنانيّ المنتمي إلى جميع الجماعات ومشاربها والذين يسعون إلى التسجيل فيها ويتوجّب أن يُقبل انتسابهم إليها على رغم المصاعب الماليّة التي يرزحون تحت وطأتها، ٢) إنّها جامعة يسوعيّة ومسيحيّة كاثوليكيّة تفتخر بهويّتها، فهي تغرف أساسًا، من هذا التقليد، ممارساتها التربويّة ورغبتها في خدمة الجميع، ولكنّها تسعى أن تكون مساحةً للتعدديّة والبحث عن معنى للجميع، ٣) إنّها جامعة ناطقة باللّغة الفرنسيّة (فرنكفونيّة) في خدمة الثقافة الفرنسيّة، ولكنّها تتّجه في الوقت نفسه، منذ تأسيسها وحتّى اليوم، نحو العالم العربيّ والثقافة العربيّة. وهي قرّرت أيضًا، في هذا السياق، أن تعطي مكانًا أكبر إلى اللّغة الإنكليزيّة وإلى برامج باللّغة الإنكليزيّة من أجل أن تلبّي المتطلبّات المهنيّة والشروط الواضحة لإنتاجات البحث العلميّ.

٣. في إطار ذكرى احتفالنا هذا بمرور ١٤٠ سنة على تأسيس جامعة القدّيس يوسف، أردنا أن ندعو إتّحاد الجامعات العربيّة الذي يضمّ ٢٣٨ جامعة لعقد مؤتمره السنويّ في حرم جامعة القدّيس يوسف. من هنا، استقبلنا ١٩٩ رئيس جامعيّ من جامعات عربيّة في حين تواجد ١٠٢ رئيس جامعيّ عربيّ فقط في عمّان للمؤتمر نفسه العام الماضي. المحطّة الرئيسيّة لمؤتمر جامعة القدّيس يوسف هذا كانت المحاضرة اللامعة التي قدّمها البروفسور غسّان سلامة، الوزير اللبنانيّ السابق للثقافة تحت العنوان التالي : "كيف يمكن أن يصبح تعليمنا العالي العربيّ قابلاً أكثر للجودة والتحسين ؟ سيصبح قابلاً للجودة حين يكفّ عن كونه نسخة عن الايديولوجيا السائدة، أكانت سياسيّة أو دينيّة وحين يحقّق إرادة حقيقيّة للانفتاح نحو اكتساب لغة أو لغات أجنبيّة متعدّدة وحين يعطي مكانًا أكبر للمرأة ومصداقيّة أكبر للبحث النقديّ وحين يعطي تنشئة إلى متخرّجين كفؤ ليكونوا قادة وليس عاطلين عن العمل أو إرهابيّين، مع العلم أنّ ٢٧ إلى ٣٠ بالمئة من المتخرّجين العرب الشباب معرّضين لأن يكونوا عاطلين عن العمل و٢٠ في المئة يتعاطون مهنًا صغيرة دون مستوى تعليمهم. أريد أن أقول لكم إنّ ضيوفنا كانوا بغاية السرور أن يتواجدوا في حرم جامعة القدّيس يوسف العريق، شاعرين أنّ أعضاء الهيئة الجامعيّة تبّنتهم وأنّ جامعة القدّيس

يوسف، بحسب شهادتهم، هي مساحة من الحريّة الأكاديميّة والإجتماعيّة. خلال السنة القادمة، بما أنّ رئيس جامعة القدّيس يوسف سيكون رسميًّا رئيس الإتّحاد، سيجعل هذه البنية العربيّة الهامّة تُكمل تفكيرها بعمق وتزن أكثر فأكثر إدارة التعليم العالي العربيّ المدعوّ إلى التوسّع والتوحّد والتزوّد بالقوّة على الساحة الدوليّة. إحدى المظاهر التي أثّرت في هذا المؤتمر كانت الدعوة إلى عشاء ودّي أطلقها إتّحاد رابطات قدامى جامعة القدّيس يوسف ممّا أثار دهشة رؤساء الجامعات العرب في اكتشاف المكانة التي يحتلّها القدامى في حياة جامعة القدّيس يوسف.

٤. لدى ذكرنا لدور قدامى الطلاّب كجزءٍ لا يتجزّأ لمجتمعنا الجامعيّ، نبلغكم أنّ فريق قدامى هذا المركز من كلّ الإختصاصات المتقاربة بدأ يصبح واقعًا بحيث أنّ هناك لجنة تأسيسيّة شاركت في اختيار أعضائها، تحت رعاية السيّدة المديرة لكي تتزوّد بأنظمة وتبدأ في ايجاد قاعدة بيانات تصلح لتطوير الفريق. هذا الفريق ليس حكرًا على المركز بل على كلّ قدامى جامعة القدّيس يوسف في بيروت المتواجدين في لبنان الشماليّ. أيّها الأصدقاء الأعزّاء، برأيي أنّ قدامى جامعة القدّيس يوسف ليسوا عنصرًا منسيًّا أو هامشيًّا من ماضينا. الخرّيج هو عنصر حيويّ وشعاعٌ ينبثق من شمس جامعة القدّيس يوسف. منذ بضعة أيّام، في بوسطن، في ١٢ من هذا الشهر، شهر نيسان (أبريل) وفي جامعة نورث ايسترن التي يترأسّها طالب متخرّج من جامعتنا هو البروفسور جو عون، أبديتُ الفكرة التالية : خلال هذه الأعوام ال١٤٠ من وجود الجامعة، ما هو الإنجاز الأكثر روعة والأكثر نبلاً الذي استطاعت الجامعة تحقيقه ؟ بالطبع، الجامعة تطوّرت وكانت في خدمة لبنان الذي ساعدته على أن يولد وينمو وحقّقت إكتشافات عظيمة في مجال الأبحاث. إلا أنّ إنجازها الأروع هو أنتم، قدامى الطلاّب، لأنّكم في صميم رسالتها في التنشئة والتربية على التميّز. لذلك، هي تدعو القدامى اليوم أن يأخذوا مكانهم الطبيعيّ ويصبحوا قوّة متضامنة على الصعيد الأكاديميّ والأخلاقيّ كما على صعيد الدعم الماديّ على الأقلّ من أجل تأمين جزء من المِنَح التي يستفيد منها أكثر من ٣٠٠٠ طالب وكذلك من أجل تحقيق بعض مشاريع التنمية.

٥. فيما يختصّ بمشروع التنمية، أستطيع أن أؤكّد لكم أنّه موجود وأنّ الجامعة هي بمثابة بئر عميق لا ينضب. وإن لم يكن هناك من مشاريع، إتّكلوا على رئيس الجامعة لتتوافر هذه المشاريع. ولكنّي أعفيكم من هذا الأمر اليوم لأحدّثكم عن مشروع وحيد يتعلّق بهذا المركز. في الواقع، في إطار تطوّر مركز الشمال، أودّ أن أذكر القرار الذي اتُّخِذ منذ فترة قصيرة من أجل تزويد مركز مختبرات البيوكيميا بمستوى ممّا يُرجِع صدى نجاح هذا البرنامج ومن أجل تلبية متطلّبات التعليم وبالتالي تخفيض التنقّلات نحو بيروت، على الأقلّ بالنسبة إلى شريحة كبيرة من الطلاّب. يمكن أن تُضاف برامج أخرى في مستقبل قريب، إن على مستوى الإجازة أو على مستوى الماستر وهي برامج الهندسة وعلم النفس والعلوم الفيزيائيّة، حتّى يتسنّى للمركز أن يعزّز مكانه في الواقع الملموس للتعليم وحتّى يكون امتياز جامعة

القدّيس يوسف الذي يعني جودة وانفتاح مستمرّ من أجل تأمين الخدمة الأكثر ملاءمةً لشمال لبنان. في هذا السياق، لطالما كان التوجّه الذي تؤمّنه السيّدة المديرة للتلاميذ في منطقة الشمال ومن قِبَل فِرَق خدمة وحدة المعلومات والتوجيه، علامة على التقارب مع شركائنا من المؤسّسات التربويّة ونودّ أن نمضي قُدُمًا في هذا العمل الذي لم يعد عملاً هامشيًّا ولكنّه في صميم هاجسنا.

٦. أيّها الشركاء الأعزّاء، قبل الإنتهاء من عرضي، أودّ أن أتطرّق إلى مسألة جدّ مهمّة بالنسبة إلى جامعة ناطقة باللّغة الفرنسيّة (فرنكوفونيّة)، مسألة مستوى جودة اللّغة الفرنسيّة كشرطٍ مبدأيّ للدخول إلى جامعة القدّيس يوسف. طبيعيًّا، يجب على الطالب الحصول على المستوى "أ" في اختبار التمكّن من اللّغة ليتسنّى له التطرّق إلى الدراسات وهذا الأمر ليس في متناول كلّ التلاميذ، سواء كانوا من جبل لبنان أو من منطقة أخرى من البلاد، بما أنّ أشخاصًا أخصّائيين قاموا بتقييم هذا الإختبار على أنّه معتدل. صحيح أنّ المؤسّسات التربويّة لا تستطيع أن تكون مسؤولة عنه فالأمر يتعلّق بمعضلة امتلاك اللّغات وليس اللّغة الفرنسيّة فحسب، فالشابّ هو رهينة شبكات التواصل الإجتماعيّة التي تولي أفضليّة للبعد الصوتيّ الأكثر اختزالاً ولكنّه يُعيد إحياء قواعد اللّغة الأكثر تبسيطًا. كي لا نُعيق حركة بعض الطلاب الذين يرغبون في الالتحاق بجامعة القدّيس يوسف، إخترنا في العام الماضي قبول انتساب التلامذة الذين حصلوا على المستوى "ب"، على مسؤوليّتهم، على أن يحصلوا على المستوى "أ" خلال السنة الأولى من دراستهم. أستطيع أن أبلغكم أنّ التجربة مشجّعة بما أنّ ما يقارب ١١٢ طالب من أصل ١٣٢ اجتازوا الإختبار. نواصل الخبرة ولكنّنا نتوجّه إليكم، أيّها الشركاء الأعزّاء في المدارس، من أجل معاينة طريقة أفضل للعمل من أجل إعداد أفضل للتلاميذ الراغبين في التعليم العالي الفرنكوفونيّ في الدراسات الجامعيّة ومن أجل اختبار التمكّن من اللّغة الفرنسيّة. بالنسبة إلينا، في جامعة القدّيس يوسف، المسألة مسألة أساسيّة وتحدٍّ نواجهه كلّ يوم لأنّ الأمر يتعلّق في مكانٍ ما بتعزيز هويّتنا، هويّة جامعة القدّيس يوسف، أو بمكوّن من مكوّنات هويّتنا. لهذا السبب، نبقى على استعداد لتوجيهكم في هذا المجال من أجل كلّ تقييم أو مساعدة في الموارد البشريّة أو الأكاديميّة، فهاجسنا يبقى تعزيز إمكانيّات ألسنيّة فرنسيّة من الضروريّ أن يكتسبها الشباب من أجل استيعابهم ومتابعتهم للبرنامج بطريقة أفضل. عامّةً، من يتمتّع بمستوى جيّد في اللّغة الفرنسيّة يملك القدرة بأن يحسّن إمكانيّاته في اللّغة الإنكليزيّة، وهو شرط آخر تفرضه الجامعة ليحصل الطالب على شهادته. حين نذكر اللّغة الإنكليزيّة، تتمّ دراسة مشروع الحصول على مناهج متوازية باللّغة الإنكليزيّة وكان القرار قد اتُّخذ مسبقًا منذ بضع سنوات باتّخاذ هذا الإتّجاه بغية تقديم خدمةٍ أفضل لرسالة جامعة القدّيس يوسف كإحدى أسس التعليم العالي اللّبنانيّ والإنفتاح الثقافيّ.

٧. أيّها الأصدقاء الأعزّاء، في العام الماضي، كان من الصعب الوصول إلى طرابلس، حين كانت عاصمتنا في شمال لبنان عرضةً لحربٍ أهليّة تهدّدها في كيانها. اليوم، مرّت العاصفة الهوجاء ولكنّنا ما زلنا نعاني من عواقبها وعلينا أن نكون متيّقظين حتّى ندافع عن قضيّة مدينتنا ومنطقة الشمال وحتّى تبقى هذه المساحة الكبيرة رمزًا للوحدة والعيش المشترك والتسامح والاعتدال والحوار وبناء ثقافة الصداقة والودّ. لهذا السبب، علينا أن نواصل الكفاح والعمل من أجل تربية الثقة بالذات وبالآخر واحترام الإختلافات والتعدديّة والايمان بإله يحبّنا محبّةً متوازية لأنّنا كلّنا أبناؤه وبناته. في عامها ال١٤٠، لا يسع جامعتنا إلا تكرار تمسّكها بقيمها المئويّة حتّى يبقى لبنان وطن الحريّات والعدالة.